عين على العين

د: فتيحة طيبي
جامعة زيان عاشور الجلفة

ملخص:

قيل المعجم لا يعبر عن وجهة نظر صاحبه. لكن مع العين تختلف الأمور لأن خطة العين بحكم أسبقيتها المطلقة تمثل في حدّ ذاتها وجهة نظر صاحبها فمن ينظر إلى العين بعين ثاقبة يجد أنه يعكس خصوبة عقل الخليل ومقدرته الفائقة وذكاءه المتوقد الذي من خلاله فهم طبيعة اللغة فعمل على هندستها من خلال منهج علمي موضوعي اكتشف الخليل بفضله النظام المنطقي الرياضي الذي تقوم عليه اللغة الإنسانية .

علمتنا الرياضيات أن لكل مجهول قيمة، هذا المجهول لم يبق على حاله بل صار مع هذا الرجل قدرا معلوما لأنه استطاع أن يحصي بطريقة رياضية جميع أبنية اللغة العربية. وهدف هذه الدراسة هو التأكيد على عبقرية الخليل الذي جسد فعليا من خلال عينه فكرة تطعيم اللغة بالرياضيات ليقينه المطلق بأن الرياضيات لغة العلم.وبأن الرياضيات رياضة للعقل البشري .

Summary:

it was said lexicon do not reflect point of view its owner but with the lexicon different things because the methodology this lexicon representing in themselves point of view of its owner it is seen to this lexicon finds it reflects genius mind that man because he managed to discover the system makes sense of mathematics, which are the language of human through the curriculum scientific objective.

العين حرف هجاء، والعين عين الماء، والعين واحة في الصحراء.....

هي عيون كثيرة متفقة في اللفظ مختلفة في المعنى أي أن القاسم المشترك بينها هو الجذر (ع، ي، ن) ولذا فإن فكرة الاستغناء عن المعجم أمر يكاد يكون مستحيلا لأن "الكلمات التي لا تتضمن إلا معنى واحدا نادرة في اللغة وأغلبية الوحدات المعجمية تمتلك أكثر من معنى "[1].

ومن بين المعاجم العربية الكثيرة وقعت عيني على عين الخليل، وخليلي: هو أبو عبد الرحمن بن أحمد البصري الفرهودي الأزدي ولد سنة 100 هـ في " عمان على الخليج العربي ثم انتقل بعد ذلك إلى البصرة فنشأ بها تلميذا، حيث نهل من العلوم والمعارف وقد كان الخليل موهبة عصره ذكاء وفطنة وفكرا ولذلك نجد أنه سرعان ما تصدر مجالس البصرة العلمية للإفتاء والتدريس فصار أستاذا لا يبارى ولا يشق له غبار واشتهر بين الناس بالبصرى حيث كانت إقامته الدائمة ولقد ظل مقيما بها إلى أن وافته منيته"[2]، سنة 175 هـ .

ومن أساتذة الخليل: أبو عمرو بن العلاء وأيوب السختياني البصري وعاصم الأحول ومن أشهر تلامذته:

---

[1]- كلود جرمان وريمون لوبلون، علم الدلالة، ص 46.
[2]- يحي محمود الجندي، المدارس المعجمية والمعاجم العربية، ص 47.

سيبويه النحوي والأصمعي عبد الملك بن قريب، والنضر بن شميل ومؤرج السدوسي والليث بن المظفر[1].

هو الخليل الرجل الذي اجتمع في شخصه " المحدث والقارئ والنحوي واللغوي والعروضي والرياضي أي أنه ألمَّ بكل معارف البشر في عصره فلم يترك علما أو فنا إلا برز فيه وصار الأستاذ والمعلم ... وأظهر ملمح في شخصية الخليل كعالم هو أنه عقلية مبدعة مبتكرة جاءت بالجديد الذي لم تسبق إليه فهو مبتكر علم العروض وهو صاحب أول معجم في اللغة العربية وهو أول من صنف النحو وبوبه وقعّد له بطريقة علمية منهجية ... فلا غرابة وهو المبدع دائما أن يكون واضع علم النحو ورائد أكبر مدرسة لغوية في تاريخ الفكر اللغوي عند العرب ونعني بها مدرسة البصرة "[2].

يعد الخليل موهبة عصره وحجة دهره، تبوأ ذروة اللغة فكان حجة في كل العلوم اللسانية نظَّر للعربية وكل ما يتصل بها من فروع وفنون ساعده على ذلك عقله الراجح الجبار المبتكر.

إذن كان الخليل ذا "ثقافة واسعة وبراعة لغوية وأذن موسيقية مما جعله ذا عقلية ابتكارية خلاَّقة في مجال البحث اللغوي والقياس إلى جانب ميدان العروض والصوتيات "[3].

تفوق الخليل في العلوم الشرعية وبرع بفكره المبدع الرياضي إذ" فكر في استنباط طريقة في الحساب تسهل على العامة معاملاتهم "[4].

وقد اتبع في ذلك منهج العلمية الموضوعية المنظمة كما اتخذ القياس والتقعيد أساسا لكل القضايا اللغوية التي طرقها فكان ألمع شخصية في تاريخ الدراسات اللغوية العربية لأن خليلنا " بعقله المجرد وفكره الرياضي الثاقب يعتبر بمثابة الكومبيوتر لعصره كما يعتبر بالمفهوم العصري الحديث مؤسس البحث النظري والتطبيقي في جمع المادة اللغوية حيث استطاع بما توفر لديه من ذاكرة كومبيوترية وبنية ذهنية متكاملة أن يثري المكتبة العربية الإسلامية بأروع ما خلفته الحضارة الإنسانية"[5].

هي شخصية انقطع نظيرها لأنها استطاعت أن تفرض احترامها وتقديرها. وهدف هذه الدراسة هو تسليط الضوء قدر المستطاع على مؤلفه الوحيد الذي وصل إلينا وهو معجم العين الذي كان الخليل فيه مبتكرا غير مقلد إذ هدته عبقريته بإلهام من الله إلى وضع كتاب العين الذي جمع فيه مفردات اللغة العربية وإليه أي العين يرجع الفضل الكبير في "تخليد وتمجيد عبقرية الخليل الفذة حيث جمع فيه ألفاظ اللغة بطريقة حاصرة وعلى نظام لم يسبق إليه هداه إليه تفوقه في الموسيقى وبراعته في النغم "[6].

وقد أهلته ألمعيته وبراعته في هذا الفن "لابتكار نظام التقليبات الصوتية فكان مدرسة قائمة بذاتها ألفت عليها المعاجم اللغوية، حيث وضع الأساس لها بكتابه الشهير (العين)...وكل ذلك ينبئ عن ذوق الخليل الفني ونبوغه العلمي وتوقد ذهنه وصفاء ذكائه وحدة فطنته"[7].

ورغم تلك الشكوك[8]. في نسبة كتاب العين إلى الخليل إلا أن المسلَّم به أن العين من وضع الخليل.

---

(1)- ابن حويلي الأخضر ميدني، المعجم اللغوي العربي، ص 48.(ينظر الهامش).
(2)- محمد يوسف حبلص، معاجم العربية ومصادرها، ص 52، 53.
(3)- حكمت كشلي، تطور المعجم العربي، ص 16.
(4)- ابن حويلي، مرجع سابق، ص 48.
(5)- عيسى بن إبراهيم الربعي، الأمالي العمانية، ص 06.
(6)- يحي محمود الجندي، مرجع سابق، ص 52.
(7)- المرجع السابق، ص 50.
(8)- ينظر حكمت كشلي، ص 16، 17، وينظر يحي محمود الجندي، ص 59-76، وينظر ابن حويلي الأخضر ميدني، ص 50، 51، وينظر عبد القادر بن التواتي، البحث اللساني عند العرب، ص 12-14 و ص 26-37، هناك من أنكر نسبة

يقول ابن خلدون "وكان سابق الحلبة في ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي ألّف فيها كتاب العين فحصر فيه مركبات حروف المعجم كلها من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي وهو غاية ما ينتهي إليه التركيب في اللسان العربي "[1].

ففكرة أن العين ليس للخليل ليست واردة عند ابن خلدون وليست واردة عند الكثيرين من العرب والمستشرقين بدليل قول عبد القادر عبد الجليل "معجم العين رأس مدرسة نظام المخارج التقليبية وإن دارت حوله رحى الريبة في النسبة فإن ذلك من غيظ مطبق في الصدور وحسد مرهق للنفوس"[2]. وقول المشتشرق براونلتش:" ليس غريبا أن ينسب كتاب العين إلى الخليل بل الغريب ألا يكون منسوبا إليه" [3].

وبهذا تتأكد أسبقية الخليل في تنظيم المعاجم على حروف قام هو باكتشاف مخارجها فهو"أول من نهج مسالك جديدة في علم العربية قبل أن يكون "للألسن الأوربية" الحالية شيء من ذلك يذكر باعتراف علماء الغرب أنفسهم، والخليل بهذا الفعل يحرز قصب السبق في الدراسة اللغوية العامة بقسميها: علم المفردات (Lexicologie) وفن الصناعة المعجمية (Lexicographie) اللذين يعدان من أهم ركائز الدراسة المعجمية المعاصرة" [4].

عكس العين بديع الفكر وطول النظر الذي ميز الخليل والسؤال المطروح هنا: ما سبب تسمية الكتاب بهذا الاسم ؟! وهل العين هو الاسم الأنسب لهذا الكتاب؟ وهل الاسم يعكس المسمى؟ أي هل في المسمى شيء من صفات الاسم؟

بدأ الخليل يفكر في حصر كلام العرب وضبطه[5].بطريقة رياضية وكان المعاصرون يجمعون غريب اللغة ويشرحون معناها ووجد الخليل أنهم لم يستقصوا كلام العرب ففكر أول الأمر في " جمع ألفاظ العربية بطريقة استقصائية حاصرة عن طريق متابعة الحروف على الترتيب الهجائي إلا أن ذلك لم يتيسر له حيث أوضح في مقدمة كتابه (العين) أن الترتيب الهجائي لا يمكنه من ذلك"[6].

إذن استغل الخليل مهارته الرياضية وعنايته بالموسيقى في ذلك ووجد أن العربية عدد حروفها تسعة وعشرين حرفا وأن مواد الكلمات إما ثنائية أو ثلاثية أو رباعية أو خماسية فحاول حصر الثنائي من حروف الهجاء على ترتيبها وكذا الثلاثي والرباعي والخماسي وعندما أراد أن يرتب معجمه ترتيبا أبجديا بدأ يتذوق الحروف الأبجدية وهداه تفكيره إلى الترتيب الصوتي ولم يبدأ بالهمزة أو الألف لأن الألف حرف معتل لا استقرار لها فلما فاته الحرف الأول كره أن يبتدئ بالثاني وهو الباء.

وبدأ بالعين لأنها أعمق الحروف مخرجا ولقد فطن الخليل إلى أن الهمزة أعمق الحروف مخرجا لكنه وجد من تغيرها سببا في عدها ضمن حروف العلة وفطن أيضا إلى أن الهاء تليها ولكن الهاء ما هي إلا إرسال الهواء خارج الحلق ولذا وجد أن العين أصلح حروف الحلق للبدء بها وكانت الحاء تشارك العين في المخرج عينه لكن اختيار الخليل للعين

المعجم إلى الخليل وهناك من جزم بنسبته إلى الخليل وهناك من حاول التوفيق بين الرأيين فالراجح أن الخليل هو الذي وضع خطته وترتيبه وأن الليث بن المظفر هو الذي أتمه.

[1]- ابن خلدون، المقدمة، ص 471.

[2]- عبد القادر عبد الجليل، المدارس المعجمية، ص 110.

[3]-ينظر إبراهيم محمد نجا، المعاجم اللغوية، ص 29.

[4]-ابن حويلي مرجع سابق، ص 49-50.

[5]- عبد الحميد محمد أبو سكين، المعاجم العربية مدارسها ومناهجها، ص 26.

[6]- يحي محمود الجندي، مرجع سابق، ص 53.

دون الحاء ذكر له سببا هو (أن العين أنصع) أو ما يعبر عنه بعبارة أخرى هو (أن العين مجهورة والحاء مهموسة) .

اختار الخليل العين لأنها الأنصع إذا ما قورنت بمنافساتها (الألف، والهاء، والحاء) وهذا الاختيار كان السبب المباشر والسر في إطلاق اسم العين على هذا المؤلف الشهير.

اتبع الخليل نظاما خاصا به في معجمه حيث "رتب أبوابه على حروف المعجم بالترتيب المتعارف واعتمد فيه ترتيب المخارج فبدأ بحروف الحَلْقِ ثم ما بعده من حروف الحنك ثم الأضراس، ثم الشفة، وجعل حروف العلة آخرا وهي الحروف الهوائية"[1].

يؤكد الخليل بهذا الإنجاز الرائد عبقريته وتفوقه على من سبقه" فقد أعمل فكره لإيجاد ترتيب لم يسبقه إليه أحد وكان له ما أراد فجاء مرتبا حسب التسلسل التالي:

(ع، ح، هـ، خ، غ):حلقية/(ق، ك):لهوية/(ج، ش، ض):شجرية/(ص،س، ز): أسلية/ (ط،د، ت): نطعية/ (ظ، ذ، ث): لثوية/(ر، ل، ن): ذولقية/ (ف، ب، م): شفوية/ (و، ا، ي، ء): هوائية"[2].

وهي تسعة وعشرون حرفا بني عليها كلام العرب.قسم الخليل الحروف إلى "مجموعات متقاربة اشتق أسماءها من أسماء المواضع التي تخرج منها الحروف "[3].

قام الخليل بتأليف معجمه بناء على هذا الابتكار وسمى كل حرف كتابا ثم وضع عنوانا تحته حمل اسم الحرف الذي عنون به الكتاب ثم بوب هذا الحرف ذاكرا معه الحروف التي ستكون المادة التي سيترجمها وقد بدأ بكتاب (العين) من باب تسمية الكل بالجزء .

يقول ابن خلدون :" وبدأ من حروف الحلق بالعين لأنه الأقصى منها فلذلك سمي كتابه بالعين لأن المتقدمين كانوا يذهبون في تسمية دواوينهم إلى مثل هذا وهو تسمية بأول ما يقع فيه من الكلمات والألفاظ "[4].

وحتى يسهل حفظ ترتيب الحروف كما قدمه الخليل قام أبو الفرج سلمه بن عبد الله المعا فري الجزيري بنظمها[5]:

يا سائلي عن حروف العين دونكها	فـي رتبـة ضمهـا وزن واحصـاء
العين والحـاء ثـم الهـاء والخـاء	والغين والقاف ثم الكاف أكفاء
والجيم والشين ثم الضاد يتبعها	صـاد وسيـن وزاي بعدهـا طـاء
والـدال والتـاء ثـم الظـاء متصل	بالظـاء ذال وثـاء بعـدها راء
واللام والنـون ثـم الفـاء والبـاء	والميـم والـواو والمهمـوز واليـاء

تصدرت العين ترتيب الخليل وهي حرف هجاء وهي ذات العين التي تبصر وترى وهي العين التي سحرتنا وأسرتنا وقادتنا إلى التوسل بالمعجم للوقوف على معانيها علّ في العين سحرا وسرا انفردت به عن باقي الحروف.

جاء في الصحاح : العَيْنُ[6]:

العين: حاسة الرؤية وهي مؤنثة والجمع أعين وعيون وأعيان وتصغيرها "عُيَيْنَة" ومنه قيل:" ذو العُيينَتَيْنْ"

---

(1)- ابن خلدون ، المقدمة، ص 472.
(2)-ابن حويلي، مرجع سابق، ص 58.
(3)- عبد القادر بن التواتي، البحث اللساني عند العرب، ص 20.
(4)- ابن خلدون، المقدمة، ص 472.
(5)- السيوطي، المزهر، ج1، ص 89.
(6)- الصحاح، مادة[عين].

للجاسوس.

والعين: عين الشمس، والعين: الدينار ،والعين: المال الناض والعين: الديدبان والجاسوس.ولقيته أول عين أي قبل كل شيء وعين الشيء: خياره وعين الشيء: نفسه وبعد عين أي: بعد معانيه والعين: مطر أيام لا يقلع وعيون البقر: جنس من العنب وأعيان القوم: سداتهم وأشرافهم والعين: حرف من حروف المعجم وتعين الرجل المال :إذا أصابه بعين.

وجاء في القاموس المحيط: العينُ[1]: الباصرة... والإصابة بالعين والإصابة في العين...والجاسوس وجريان الماء... وحاسة البصر والحاضر من كل شيء وحقيقة القبلة وحرف هجاء حلقية مجهورة وينبغي أن تنعم إبانته ولا يبالغ فيه فيؤول إلى الاستكراه وعيَّنها: كتبها وخيار الشيء والديدبان والدينار والذهب وذات الشيء والرّبا والسيد والسحاب من ناحية القبلة.... والعين: الميل في الميزان والناحية والنظر ونفس الشيء ونقرة الركبة.

هذه بعض معاني (العين) الواردة في معجمي الصحاح والقاموس المحيط لأن المقام لا يسعنا لذكر جميع المعاني مما يعكس ثراء مادة العين بالمعاني وهذا ما يجعل من الحاجة إلى المعجم في تزايد لكي نحاول الوقوف على المعاني المختلفة لكل مادة من مواد المعجم وهذا بدوره يعكس غنى وتشعب وكثافة اللغة العربية.

إن فكرة الاستعانة بالمعجم تدل دلالة صريحة على تعدد المعاني المعجمية للمادة عينها وإذا ما قورنت العين ب(الهمزة والهاء والحاء) التي كان من الممكن أن تحل واحدة منها محلها، لكن الخليل لم يفعل .

وجدنا أن (الهمزة والهاء والحاء) لا تحمل أكثر من معنى واحد هو كون كل واحدة منها :حرف من حروف المعجم أما العين فإن لها معاني عديدة جدا وهذا يعني أن العين لها وزن معجمي مقارنة بالأخريات أحد هذه المعاني هي : العين بمعنى خيار الشيء.

وكما ذكرنا من قبل أراد الخليل من خلال العين أن يكمل النقص الذي خلَّفه من سبقه في جمع اللغة وأنه أراد أن يجمع كل ألفاظ اللغة العربية بطريقة استقصائية حاصرة فكان معجمه العين: عين المؤلفات التي سبقته أي خيارها لا من حيث الكم ولا من حيث الكيف أو ما يعرف بمبدأ الجمع ومبدأ الوضع وهما أساسا النظرية العلمية التي قدمها الخليل .

والمقصود بمبدأ الجمع أن الخليل أحصى كل مواد اللغة العربية بطريقة كلية شمولية يُؤْمَنُ معها التكرار وفوات المواد والمقصود بمبدأ الوضع الطريقة التي لم يكن للعرب عهد بها التي لم يكتف فيها الخليل بمجرد ترتيب المداخل بل تجاوزها بكثير.

هذا يعني أن الرجل كان يعي حجم المهمة الموكلة إليه في العين لأنه أراد أن يخدم العربية بطريقة موضوعية منطقية تتحرى الدقة والشمولية والاتقان الذي يبعد عن الرتابة والتكرار.

وهذا يعني أن الخليل قبل أن يجسد مشروعه العين وضع خطة محكمة تمكنه أولا من حصر كل ألفاظ اللغة التي جرت أو يمكن أن تجري على ألسنة العرب وتمكنه في المرتبة الثانية من تصنيف كل هذه الألفاظ بطريقة تسهل على الناس الاستفادة من هذه المادة المجموعة .

" اهتدى الخليل إلى حل بارع تمكن به من حصر كل ألفاظ اللغة التي يمكن وجودها سواء أكانت مستعملة بالفعل أم مهملة هذه الطريقة تسمى بالتقاليب وقام بحل المشكلة الثانية عن طريق وضع تصنيف خاص وتبويب منظم يسهل مهمة الباحث في الكتاب ويمكن بيان هذين الحلين لكبرى المشكلات التي واجهته من خلال منهج الكتاب الذي

---

[1]- القاموس المحيط، مادة [عين].

يتسم بأربع سمات: أنه منهج صوتي، تقليبي، كمّي، جذري"[1].

إذن التسلسل الإنتاجي والتبادل الموقعي والكمية البنائية والجذرية هي الأسس التي اتبعها الخليل في العين بطريقة علمية منظمة عنوانها حدة الذهن وعمق النظر.

منهج العين:

1- صوتي: لم يشأ الخليل أن يقتفي أثر الآخرين وفضل الإنفراد بترتيب يختلف عن الترتيبين الموجودين قبله وهما: الترتيب الأبجدي السامي القديم (أبجد، هوز، حطي، كلمن،...) والترتيب الألفبائي الذي وضعه نصر بن عاصم (أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز.....) .

عكست فكرة الخليل عقليته الرياضية المبدعة التي لا ترضى بالتقليد وترحب بالتجديد فكان من الطبيعي "أن يبتكر طريقة جديدة لم يسمع بها أحد هذه الطريقة هي الترتيب الصوتي للحروف فيبدأ بالحروف الحلقية ثم اللسانية ثم الشفوية ثم الهوائية "[2].

أما "الآلة التي تصدر هذه الأصوات اللغوية فهي ما بين الحنجرة إلى الشفتين من جسم الإنسان وأما الذي يفرق بين وقعها على الآذان فهو اختلاف مواضع إخراجها (مخارجها) في هذا الجزء الممتد وما يحدث فيه في أثناء إخراج الصوت من كبت للنفس أو إطلاق له ومن تحريك للسان إلى أسفل أو أعلى ومن إطباق للشفتين أو فتح أو إدارة لهما"[3].

رتب الخليل حروف الهجاء ترتيبا صوتيا على هذا النسق :ع، ح، ه، خ، غ، ق، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، د، ت، ظ، ذ، ث، ر، ل، ن، ف، ب، م، و، ا، ي، ء[4].

والملاحظ أنه لم يذكر الهمزة ضمن الحروف الحلقية لأنه رأى أن "الهمزة تخرج من نفس المزمار وأنها لا استقرار لها"[5].

لم يكن اختيار الخليل لهذا الترتيب الصوتي المخرجي اختيارا عشوائيا بل هو "اختيار قائم على وعي بطبيعة المشكلة التي يتصدى لها وهي مشكلة حصر المادة اللغوية والكلمة أية كلمة في اللغة هي بنية صوتية ، فهي مكونة من أصوات اللغة وإذا حصرنا الأصوات أمكن بعد ذلك أن نحصر الكلمات وأصوات اللغة تخرج من مكان واحد هو جهاز النطق ومادام هدفه حصر الأصوات فقد رأى أن يتتبع الأصوات التي تخرج من جهاز النطق ابتداء من أعمقها مخرجا وانتهاء بآخرها مخرجا."[6].

لأن الخليل يتعامل مع اللغة الحية المنطوقة ووحدتها الأساسية الصوت اختار الترتيب الصوتي واتخذ من الدراسة الصوتية مدخلا للعمل المعجمي بدل الترتيب الأبجدي أو الترتيب الألفبائي لأنهما ترتيبان للحروف (الرموز الكتابية) والحروف –كما هو معلوم- وحدة اللغة المكتوبة .

بدأ الخليل ترتيبه الصوتي بحرف العين وهي بداية قائمة على أسس موضوعية منطقية كان هذا الاختيار نتيجة تجربة قام بها الخليل تذوق من خلالها الأصوات وكانت النتيجة الحكم باختيار العين وهي أدخل الحروف في الحلق ثم

---

(1)- محمد يوسف حبلص، مرجع سابق، ص 53.
(2)- نفسه، ص53
(3)-حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، ص175.
(4)-ينظر ابن منظور لسان العرب، ج1، ص 14.
(5)- يحي محمود الجندي، مرجع سابق، ص 55، 56.
(6)- محمد يوسف حبلص، مرجع سابق، ص 54.

الأرفع فالأرفع حتى وصل إلى آخرها وهو الميم .

إذن تصدرت العين ترتيب الخليل" مع أنها تالية للهمزة والهاء لأسباب علمية تتمثل في أن العين أكثر دورانا في الكلمة العربية من الهمزة والهاء وهي تتميز بقوة الوضوح السمعي إذا قيست بهما" [1].

وعلى حين تتسم العين بالثبات نجد الهمزة كما يقول الخليل "يلحقها النقص والتغيير والحذف "[2].

لي رأي قبل أن أذكره فضلت أن أذكر رأي محمد يوسف حبلص حول السر من وراء تسمية العين بالعين.

يقول حبلص:" ولا يغيب عن بالنا أن العين كما أنها أول حروف الخليل فهي كذلك أول حرف في اسم العرب والعين كذلك تدل في معنى من معانيها على الماء وكما أن الماء في حياة العربي الصحراوية هو أهم مقومات هذه الحياة وكذلك لغته هي أهم ما فتن به وعنى فلِمَ لا تكون عنوانا لمعجمها؟ فهو العين للحياة والعين للغة معا!" [3].

وجهة نظر:

من معاني العين أنها خيار الشيء وما اختيار العين إلا لأنها الخيار، خيار تلك الحروف (الهمزة، الهاء، الحاء) والعين كمعجم خيار المؤلفات كما وكيفا، والعين عينه يعكس براعة الرجل وتمرسه ودهاءه وعمق نظره وسعة خاطره.

ومن خلال كل هذه الصفات استطاع الخليل أن يجعل العين ينضخ بثروة لغوية لأنه استطاع أن يتحكم في طاقات اللغة وهكذا جرى الخليل ومن بعده العين على كل لسان.

قسم الخليل معجمه إلى كتب وجعل لكل صوت كتابا خاصا به وجمع أربعة أصوات في نهاية المعجم في كتاب واحد سماه كتاب المعتل ويضم (و، ا، ي، ء) وهذا يعني أن كتاب العين يقع في ستة وعشرين كتابا.

"ثم سمى معجمه بكتاب العين من إطلاق الجزء على الكل حيث إن كتاب العين طبقا لمنهجه هو أكبر الكتب جميعا وأول كتاب في معجمه فآثر أن يسمي معجمه بكتاب العين "[4].

هناك من يرى أن هذا الترتيب المخرجي يمتاز بالتعقيد لأنه يخالف طبيعة التدرج مما أدى إلى صعوبة الاستفادة منه [5].

يقول ابن حويلي :" وأقصد بالتدرج موافقة الفطرة الإنسانية ومسايرة منطق الطبيعة في خطوات ومراحل معلومة تفرضها سنة الخلق كالتدرج من السهل إلى الصعب ومن الصغير إلى الكبير ومن القريب إلى البعيد ومن الداخل إلى الخارج ومن المحسوس الملموس إلى المجرد ... أما الخليل في كتاب العين فلم يراع في ترتيبه للحروف هذا التدرج الفطري بل خالفه ثم زاد الأمر تعقيدا حين بنى كتابه بطريقة خاصة جعلت البحث في هذا الكتاب صعبا جدا حتى على العلماء فما بالك بمن لم يشتد عوده في هذه اللغة لذا تعرض الكتاب بسبب هذا المنهج المعقد لنقد العلماء قديما وحديثا "[6].

وهذا ما جعل الإقبال عليه يتضاءل فالكتاب لم يعد مطلوبا وهذا ما جعله عزيزا مفقودا.

دفاعا عن الخليل:

من خلال النص السابق يقر ابن حويلي بأن أحد طرق التدرج : التدرج من الداخل إلى الخارج أَوَ ليس هو

---

[1]- نفسه، ص 56.
[2]- ينظر السيوطي، المزهر، ج1، ص 90.
[3]- محمد يوسف حبلص، مرجع سابق، ص 56.
[4]- نفسه، ص 57.
[5]- ابن حويلي، مرجع سابق، ص 61.
[6]- نفسه، ص 61، 62، 63.

عين ما فعله الخليل في عينه؟! ألَمْ يتدرج من أقصى الحلق إلى أدنى الحلق من العين فالأرفع ثم الأرفع إلى أن وصل إلى الميم أليس هذا هو عين التدرج؟!.

بدليل أن الدرس الصوتي الحديث وصل إلى نفس النتائج التي وصل إليها الخليل في الزمن القديم مع فارق وحيد هو أن الدرس الصوتي الحديث تدرج من الخارج إلى الداخل ومهما يكن فإن الترتيبين لا يخرجان عن سنة التدرج والارتقاء .

ولهذا لا ينبغي لنا أن نغض بصرنا أمام هذا الكتاب ولا ينبغي لنا أن نحجب عيوننا أمام عين الخليل بل ينبغي لنا أن نعيد النظر كرتين ونرى بعين الإنصاف لا بعين الإجحاف إلى العين لأن منهجه الصوتي المخرجي تطبيق لنظرية متكاملة فيها معارف انقطع نظيرها كان الخليل فيها سابق الحلبة ومحقق الغلبة .

2- تقليبي: التقليب نظام ابتكره الخليل يمكّن من ذكر الكلمة ومقلوباتها. في البداية نقر بأن هناك من زعم بأن الخليل ليس مبتكرا لنظام التقليبات الصوتية وأنه نقل الفكرة عن اليونان [1].وقيل أنه أخذ الفكرة عن الهنود[2].

ولكن مثل هذه الادعاءات لا تغير حقيقة أن" الخليل بن أحمد هو المبتكر لنظام التقليبات الصوتية وهذا أمر طبيعي بالنسبة للخليل فالخليل ليس إنسانا عاديا وإنما هو عالم فذ له عقله وفكره ولقد أثبت من خلالها تفوقه "[3].

ولذا قال عنه السيوطي :" إن الخليل رجل لم ير مثله "[4].

نعود إلى طريقة التقاليب وهي:" عبارة عن وسيلة إجرائية لجأ إليها الخليل للمساعدة في حصر ألفاظ اللغة بشكل رياضي وقد نظر الخليل في ألفاظ اللغة العربية فوجد أن حروفها الأصلية إما ثنائية أو ثلاثية أو رباعية أو خماسية" [5].

أراد الخليل أن يحصر عدد الأصول أي الكلمات الممكنة من كل نمط من الأنماط السابقة ليتمكن من معرفة الكمية الممكنة في كل باب من أبواب المعجم وفكرة الحصر هذه هي التي هدته إلى ما يسمى بالتقليبات[6].

ثم يعرض الخليل الكلمة ومقلوباتها على الفحص بعين العربية "من أجل رصد مسارها في المنظومة اللغوية كل ذلك باعتبار عاملي الاستعمال والإهمال"[7]. يقول الخليل :" اعلم أن الكلمة الثنائية تتصرف على وجهين... والكلمة الثلاثية تتصرف على ستة أوجه وتسمى مسدوسة... والكلمة الرباعية تتصرف على أربعة وعشرين وجها يكتب مستعملها ويلغى مهملها ... والكلمة الخماسية تتصرف على مائة وعشرين وجها يستعمل أقله ويلغى أكثره"[8].

يحمل النص السابق في طياته واحدا من أخطر عناصر المنهج في النظرية المعجمية خاصة والنظرية اللغوية العربية على وجه العموم [9].

والملفت للنظر أن الخليل لم يستعمل في نصه السابق مصطلح تقليب واستعمل مصطلح التصريف وهو مصطلح لغوي ـ مع أن الفكرة رياضية ـ وفي هذا المصطلح إشارة إلى وجود صلة ما بين الصور المختلفة للكلمة وهو أمر

---

[1]- قيل إنه نقل الفكرة عن حنين بن إسحاق وزعم أنها من ابتكاره.
[2]- قيل إنه نقل الفكرة عن الهنود التجار الذين كانوا يأتون إلى البصرة للتجارة.
[3]- يحي محمود الجندي، مرجع سابق، ص 62.
[4]- السيوطي، المزهر، ج1، ص 78.
[5]- محمد يوسف حبلص، مرجع سابق، ص 58.
[6]- ابن حويلي، مرجع سابق، ص 74.
[7]- نفسه، ص 74.
[8]- الأزهري، تهذيب اللغة، ج1، ص 49.
[9]- محمد يوسف حبلص، مرجع سابق، ص 59.

سيكون له أثر فيما بعد حين أوحت هذه الفكرة إلى عدد من اللغويين كابن فارس وابن جني بمحاولة البحث عن هذه الصلة التي لم يفصح عنها الخليل فكان أن ولدت فكرة الأصول التي حاولت ربط هذه التقاليب بمعنى واحد[1].

فالخليل بابتكاره نظام التقليبات أدرك العلاقات التي تجمع بين تقاليب المادة الواحدة وبذلك فقد "فطن من قبل الفارسي وابن جني إلى موضوع الاشتقاق الكبير"[2].

وظف الخليل فكرة رياضية في المجال اللغوي وهي فكرة تقوم على أساس حصر الإمكانات الرياضية لضرب رقم في آخر أو ما يسمى بمضروب العدد على هذا الشكل:

- عدد تصريفات الثنائي : 2×1=2 أي وجهان
- عدد تصريفات الثلاثي: 3×2= 6 أوجه
- عدد تصريفات الرباعي: 4×6= 24 وجها
- عدد تصريفات الخماسي: 5×24 = 120 وجها

يقول ابن خلدون :" وتأتّى له حصر ذلك بوجوه عديدة حاصرة وذلك أن جملة الكلمات الثنائية تخرج من جميع الأعداد على التوالي من واحد إلى سبعة وعشرين وهو دون نهاية حروف المعجم بواحد لأن الحرف الواحد منها يؤخذ مع كل واحد من السبعة والعشرين فتكون سبعة وعشرين كلمة ثنائية ثم يؤخذ الثاني مع الستة والعشرين كذلك ثم الثالث والرابع ثم يؤخذ السابع والعشرون مع الثامن والعشرين فيكون واحد، فتكون كلها أعدادا على توالي العدد من واحد إلى سبعة وعشرين فتجمع كما هي بالعمل المعروف عند أهل الحساب وهو أن تجمع الأول مع الأخير وتضرب المجموع في نصف العدة ثم تضاعف لأجل قلب الثنائي لأن التقديم والتأخير بين الحروف معتبر في التركيب فيكون الخارج جملة الثنائيات وتخرج الثلاثيات من ضرب عدد الثنائيات فيما يجتمع من واحد إلى ستة وعشرين على توالي العدد لأن كل ثنائية تزيد عليها حرفا فتكون ثلاثية فتكون الثنائية بمنزلة الحرف الواحد مع كل واحد من الحروف الباقية وهي ستة وعشرون حرفا بعد الثنائية فتجمع من واحد إلى ستة وعشرين على توالي العدد ويضرب فيه جملة الثنائيات ثم تضرب الخارج في ستة جملة مقلوبات الكلمة الثلاثية فيخرج مجموع تركيبها من حروف المعجم وكذلك في الرباعي والخماسي فانحصرت له التراكيب بهذا الوجه" [3].

تعقيب على نص ابن خلدون:

عندما نقوم بترجمة نص ابن خلدون إلى أرقام نجد:

4+5+6+7+8+9+10+11+12+13+14+15+16+17+18+19+20+21+22+23+24+25+26+27

378 = 1+2+3+

لذا كان عليه أن يقول: على التوالي العدد من سبعة وعشرين إلى واحد.

طريقة ابن خلدون بالأرقام: 27+1=28×14= 392 ×2 = 784

هذا يعني أن جملة الثنائيات هو 784 كلمة ثنائية ونحن نعلم أن مجموع الكلمات الثنائية هو 756 كلمة ثنائية.

بعملية حسابية بسيطة نجد: 784 - 756= 28، و إذا ترجمنا العدد 28 إلى كلمات ثنائية نجد : عع، حح،

---

(1)- نفسه، ص 59، 60.

(2)-علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص 283.

(3)- ابن خلدون، المقدمة، ص 471، 472.

هه، خخ،غغ، قق، ككّ، جج، شش، ..... يي، أأ.

الثنائي عند الخليل ما تكون من صوتين مختلفين وهذا يعني أن ابن خلدون بتوظيفه لطريقة الحساب تلك أقحم في الثنائي ما ليس منه .

لذا كان عليه أن يقول: ثم تضاعف لأجل قلب الثنائي ثم تطرح من المجموع عدد حروف المعجم (28) حتى نسقط التراكيب التي تكرر فيها نفس الصوت فيكون الخارج جملة الثنائيات ذلك أن هذه الطريقة الحسابية تصلح في حالة لا يشترط فيها اختلاف الصوتين كما ذكرنا سابقا .

يبقى أن نشير إلى أنه يستحيل ضبط جملة الثنائيات بهذه الطريقة الحسابية أو بأي طريقة أخرى لأن الثنائي وإن اشترط فيه اختلاف الصوتين فإنه يحوي كل ما تكون من صوتين مختلفين ولو تكرارا أو تكرر أحدهما مثل: قد، قدّ، قدقد.

أما عن عدد الأبنية الثلاثية كما ذكرها ابن خلدون فهي بلغة الأرقام : 351×784×6 = 1651104 كلمة ثلاثية.

بحيث :

- 351 هو مجموع من واحد إلى ستة وعشرين
- 784 هو جملة الكلمات الثنائية
- 6 هو جملة مقلوبات الكلمة الثلاثية

نحن نعلم أن عدد الأبنية الثلاثية هو: 19656 لذا كان على ابن خلدون أن يقول : فتضرب 26 في جملة الثنائيات لتصل إلى جملة الكلمات الثلاثية ثم تضرب 25 في جملة الثلاثيات لتصل إلى جملة الكلمات الرباعية ثم تضرب 24 في جملة الرباعيات لتصل إلى جملة الكلمات الخماسية وبهذا يكون قد أحصى الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي بطريقة واضحة وبسيطة على خلاف تلك الطريقة المعقدة التي اتبعها والتي اكتفى فيها بالتطرق للثنائي والثلاثي فقط بينما الرباعي والخماسي فلم يُفصّل فيهما.

نبقى مع الطريقة الرياضية لحساب عدد الأصول الثنائية والثلاثية والرباعية والخماسية عن طريق ما يعرف بالترتيبة $ر^{ه}_{ن}$ بحيث : ن : عدد الأصوات، وهـ عدد أصوات السلسلة الانتاجية

حساب الثنائي:

$$ر^{2}_{28} = \frac{28!}{(28-2)!} = \frac{28!}{(26)!} = \frac{26\times27\times28!}{26!} = 27\times28 = 756$$

أصلا ثنائيا

حساب الثلاثي:

$$ر^{3}_{28} = \frac{28!}{(28-3)!} = \frac{28!}{(25)!} = \frac{25\times26\times27\times28!}{25!} = 26\times27\times28 = 19656$$

أصلا ثلاثيا

حساب الرباعي:

$$ر_{28}^{4} = \frac{!28}{!(28-4)!} = \frac{!28}{!(24)} = \frac{!24\times25\times26\times27\times28}{!24} = 25\times26\times27\times28 = 491400$$

أصلا رباعيا

حساب الخماسي:

$$ر_{28}^{5} = \frac{!28}{!(28-5)!} = \frac{!28}{!(23)} = \frac{!23\times24\times25\times26\times27\times28}{!23} = 24\times25\times26\times27\times28 = 11793600$$

أصلا خماسيا

وبطريقة أخرى :

- عدد الأبنية الثنائية: 28 × (28 - 1)= 756.
- عدد الأبنية الثلاثية: 756 × (28 - 2)= 19656.
- عدد الأبنية الرباعية: 19656 × (28 - 3) = 491400.
- عدد الأبنية الخماسية: 491400 × (28 - 4) = 11793600

وهذا يعني أن الرصيد اللغوي الموجود بالقوة يتأتى من مجموع المحاصيل السابقة المهمل منها والمستعمل والذي يساوي: 12305412 بناء .

استطاع الخليل أن يمزج اللغة بالرياضيات لأنه يؤمن بلغة الأرقام وخير دليل على ذلك توظيفه الفعل (تضرب) في نصوصه كما أنه قدم الفعل ضرب كمثال

عن الثلاثي وهو دليل قوي على الحقل الرياضي الذي منه أتى بفكرته ولا نخرج عن مجال الرياضيات لأننا سنستعير منها الوسيلة (المثلث) للتوضيح

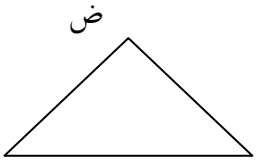

تقليبات الفعل ضرب هي: ضرب، ضبر، رضب، ربض، بضر، برض.

وجهة نظر:

حتى نتأكد من أن ترتيب التقليبات صحيح ويوافق ترتيب الخليل الصوتي لابد من:

- أن يكون ترتيب الأصوات في الكلمة الأولى هو عكس ترتيب أصوات الكلمة السادسة:

ضرب ⟵ برض

1 2 3 3 2 1

- أن يكون ترتيب الأصوات في الكلمة الثانية هو عكس ترتيب أصوات الكلمة الرابعة:

ضبر ⟵ ربض

1 2 3 3 2 1

- أن يكون ترتيب الأصوات في الكلمة الثالثة هو عكس ترتيب أصوات الكلمة الخامسة :

رضب ⟵ بضر

1 2 3 3 2 1

وهو قلب من نوع آخر من اليمين إلى اليسار أي تقرأ من اليمين إلى اليسار تجد ضرب وتقرأ الكلمة السادسة من اليسار إلى اليمين تجد ضرب .

ولتوضيح الأنواع الأربعة استعرت شكلا هندسيا آخر من الرياضيات وهو شكل الخماسي :

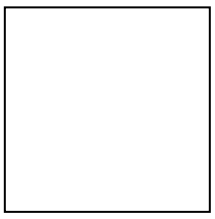

* البناء الخماسي : قسطبل(على شكل خماسي)
* البناء الرباعي: قسطل (على شكل مربع)

* البناء الثلاثي: طبل (على شكل مثلث)
* البناء الثنائي: بل (على شكل خط مستقيم)

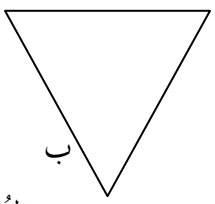

* قسطبل (في كتاب القاف في تقليب قسطلب).
* قسطل (في كتاب القاف في تقليب قسطل).
*طبل (في كتاب الطاء في تقليب طلب).
*بل (في كتاب اللام في تقليب لب) .

القُسطبيلة بالضم: الذكر، لغة في القسطبينة [1].

نبقى مع البناء الثلاثي وهو: طبل

وترتيب التقليبات هو: طلب، طبل، لطب، لبط، بطل، بلط، وهذا هو الترتيب الصحيح الذي يوافق ترتيب الخليل وهذا يعني أن طبل توجد مع مقلوبات طلب.

[1]- القاموس، مادة [قسطبل]

نعود إلى فكرة الممكن رياضيا وهي فكرة " تخدم الخليل في جانبين الأول هو حصر مادة اللغة حصرا تاما فلا يفوته منها شيء والثاني ضم الصور المستعملة والمتماثلة في الشكل في موضع واحد وهو ما يخدم الباحثين في نظرية المعجم في الكشف عن أسرار البنية "[1].

وصف الدكتور شوقي ضيف نظرية الخليل العلمية التي تعكس روحه الرياضية بـ(نظرية التبادل والتوافق الرياضية) [2].

إذن بتطبيق المبادئ الرياضية رصد الخليل المادة اللغوية ووقف " على ما يمكن أن يتألف من ألفاظ بطريقة منطقية رياضية وعمل بعدها على تمحيص ما حصل ليميز المستعمل من المهمل.... وكان له أن وقف على الرصيد اللغوي بصفتيه : الكائن بالقوة والكائن بالفعل فكانت النتيجة محصول كمي لفظي هائل"[3].

إن فكرة المهمل والمستعمل هي فكرة " نظرية رياضية لتصور طاقات النظام المعجمي للغة وأحسبها واحدة من اللمحات المنهجية الذكية في النظرية المعجمية خاصة واللغوية بوجه عام ... إن الخليل حين طرح فكرة المستعمل والمهمل أو الموجود بالقوة والموجود بالفعل كان يحاول استقراء المادة اللغوية التي أفرزتها آلية التقاليب وبذلك تكون هذه الفكرة عنده جزءا مكملا ومتداخلا مع الفكرة السابقة فالتقاليب حصر واستخراج المستعمل والمهمل قراءة لمادة المعجم واستنباط يعين على فهم فلسفة كل منهما"[4].

وفق نظرية الاحتمالات التي جمع فيها ووفق بين اللغة والرياضيات وهي الفكرة التي نجدها مع المنهج التوليدي التحويلي في اللسانيات الحديثة كان الخليل قبل قرون خلت قد التفت إليها ونظر إليها بعين ثاقبة.وهذا يعني أن ثنائية القدرة والآداء عند تشومسكي في إطار هذه النظرية "يمكن اعتبارها على مستوى النظام اللغوي عامة والنحوي خاصة امتدادا لفكرة المهمل والمستعمل على مستوى المعجم"[5].

3- كمّي : في العين قام الخليل بتقسيم الألفاظ بحسب كمها أي أنه وهو يرتب كلمات كل باب من أبواب الكتاب الواحد بدأ بالأقل عددا ثم الأكثر فالأكثر وهذه هي الدقة بعينها التي لازمت الخليل في معجمه إذ اتخذ من التدرج من الأقل إلى الأكثر نظاما له في عمله المعجمي.

وقد اقتضى هذا التقسيم الكمي الأنواع التالية [6]:

1- الثنائي: والمراد به كل ما تكون من حرفين ولو تكرارا أو تكرر أحدهما نحو: قد، قدّ، قدقد.
2- الثلاثي الصحيح: وهو ما كُون من ثلاثة أحرف صحيحة نحو: ضرب.
3- الثلاثي المعتل: وهو ما كان أحد حروفه حرف علة نحو : وعد.
4- اللفيف: ويضم اللفيف المفروق نحو: وحى والمقرون نحو :حوي
5- الرباعي: وهو ما كون من أربعة أحرف صحيحة نحو: جعفر
6- الخماسي: وهو ما كون من خمسة أحرف ولا يكون إلا اسما نحو : سفرجل .

نربط هذا التقسيم الكمي بثنائية المهمل والمستعمل التي قال عنها ابن خلدون: "كان المهمل في الرباعي

---

(1)- محمد يوسف حبلص، مرجع سابق، ص 61.
(2)-ينظر شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص 31.
(3)-ابن حويلي، مرجع سابق، ص 68
(4)-محمد يوسف حبلص، مرجع سابق، ص 75-76.
(5)- نفسه، ص 85.
(6)- حكمت كشلي، مرجع سابق، ص 18، ويحي محمود الجندي، مرجع سابق، ص 56، 57.

والخماسي أكثر لقلة استعمال العرب له لثقله ولحق به الثنائي لقلة دورانه وكان الاستعمال في الثلاثي أغلب فكانت أوضاعه أكثر لدورانه"[1].

وقد وصف الخليل البناء الثلاثي في الاسم أو الفعل بأنه لا يكون أقل من ثلاثة أحرف حرف يبتدأ به وحرف تحشى به الكلمة وحرف يوقف عليه.

4- جذري: لاحظ الخليل أن "ثمة فكرة محورية تخضع لناموسها كل كلمات اللغة العربية فما من كلمة إلا ولها جذر أي حروف أصلية تتولد عنها وبالاشتقاق يتم توليد الكلمات من الجذور ... وقد ظلت فكرة الخليل هي القاسم المشترك بين كل المعاجم العربية حتى الآن فلم يخرج معجم واحد منذ الخليل وحتى الآن عن الأخذ بفكرة الجذر "[2].

ألف العرب ابتداء من الخليل معاجم الثروة اللفظية التي تتكئ على أساس أن الجذر هو اللبنة الأولى التي تتولد عنها كلمات اللغة وهناك أساس آخر تخضع له هذه الكلمات وهو فكرة البناء فكل كلمة عربية لابد أن لها بناء صرفيا[3].

طريقة الكشف عن الكلمات في معجم العين:

يحتاج الباحث في هذا المعجم إلى مجموعة من المهارات اللغوية إذ لابد في البداية من النظر إلى الأصل المجرد وحذف حروف الزيادة من الكلمة وإذا كانت الكلمة معتلة فلابد من رد حرف العلة إلى أصله وإذا كانت جمعا نعيدها إلى المفرد ...كل هذا من أجل الحصول على الجذر الصحيح لتلك الكلمة ثم ننظر في حروف الكلمة أيها أسبق أو أعمق مخرجا فالكتاب هو أسبق حروف الكلمة في ترتيب الخليل ثم ننظر في باب الكلمة الذي يعرف من فهم التوزيع الكمي عند الخليل (ثنائية، ثلاثية، رباعية، خماسية) نراعي بعدها نظام التقليبات ويكون التقليب هو للصورة الأسبق في الترتيب الصوتي الخليلي.

الكلمة	الجذر	الكتاب	الباب	التقليب
ضرب	ضرب	الضاد	الثلاثي الصحيح	ضرب
طبل	طبل	الطاء	الثلاثي الصحيح	طلب
استملك	ملك	الكاف	الثلاثي الصحيح	كلم
عين	عين	العين	الثلاثي المعتل	عني

تقليبات الفعل ملك: كلم، كمل، لكم، لمك، مكل، ملك.

وتقليبات الفعل عين: عني، عين، نعي، نيع، يعن، ينع.

وقد اعتمد الخليل في تفسيره لمعاني الألفاظ على الشواهد التي كان يؤيد بها شرحه فاستشهد بالقرآن والحديث وكلام العرب[4].كما أنه كان شديد الحرص " على إثبات سند روايته اللغوية مما جعل نصوصه موضع ثقة العلماء من بعده"[5].

المآخذ على العين:

---

(1)- ابن خلدون، المقدمة، ص 472.
(2)- محمد يوسف حبلص، مرجع سابق، ص 87.
(3)- المرجع السابق، ص 27.
(4)- ينظر ابن حويلي، مرجع سابق، ص 119، 120، 121.
(5)- محمد يوسف حبلص، مرجع سابق، ص 88.

أخذ بعض العلماء على كتاب العين بعض الهنات التي لا تقلل من قيمة العين أبدا من هذه المآخذ[1]:

- صعوبة الأخذ من الكتاب لأن ذلك يحتاج إلى معرفة صوتية وصرفية واشتقاقية.
- اشتماله على كثير من التصحيف.
- انفراده بكثير من الألفاظ .
- اشتماله على أخطاء صرفية واشتقاقية.
- احتواؤه على حكايات عن المتأخرين.
- إهماله أبنية مستعملة ووصفه لها بالإهمال .

وقف اللاحقون على بعض هذه المآخذ وحاولوا تصويبها إيمانا منهم بأنها خاطئة أو رغبة منهم في التميز.

فمثلا الخليل أدمج الهمزة في حروف العلة في حين ذكرها ابن سيدة في محكمه وحدها [2].

ونجد أيضا " أن الخليل احتسب الألف اللينة حرف علة ولكن ابن سيده لم يعدها إطلاقا وهو في هذا يتماشى بدقة مع الصرفيين الذين يرون أن الألفات الممدودة في العربية ترد إلى أصلها الواوي أو اليائي"[3].

هذه بعض الهنات الواردة في المعجم ويرجعها العلماء لعدة أسباب "بعضهم يذهب إلى أنه لم يكمل الكتاب بنفسه فجاءت الأخطاء من تلاميذه وبعضهم يرى أن مثل هذه المحاولات الرائدة غير مسبوقة بتجارب يمكن الاستفادة منها، مثل هذه المحاولات معرضة لوجود بعض الأخطاء والهنات"[4].

لا يُلام الخليل وهو الأسبق في هذا الميدان عن الهنات التي وقع فيها إذا كان تابعوه (ابن خلدون مثلا) ومن تبعهم قد وقعوا في أخطاء لم تكن متعمدة لكنهم وقعوا فيها، من هذه الأخطاء مثلا :

1- جاء في كتاب معاجم العربية ومصادرها [5]: ضرب، ضبر، برض، بضر، رضب، ربض والأصح: ضرب، ضبر، رضب، رضب، ربض، بضر، برض، لأنه الموافق لترتيب الخليل الصوتي.

2- جاء في كتاب المعجم اللغوي العربي[6]:كتب، كبت،تكب، تبك، بتك، بكت، والأصح : كتب، كبت، تكب، تبك، بكت، بتك.

3- جاء في كتاب المدارس المعجمية والمعاجم العربية [7].

- الحروف الحلقية: ع، ح، هـ، غ، خ والأصح: ع، ح، هـ، خ، غ
- الحروف اللسانية: ..... ط، ت، د، ظ، ث، ذ والأصح: ط، د، ت، ظ، ذ، ث وجاء في نفس الكتاب[8]: جبر، جرب، بجر، برج، رجب، ربج، والأصح: جرب، جبر، رجب، ربج، بجر، برج.

وجاء في نفس الكتاب :" إن مدرسة التقليبات الصوتية ترتب هذه المادة (ربك) وما يتفرع عنها من التقلبات تحت

---

(1)- يحي محمود الجندي، مرجع سابق، ص 78-82.
(2)- ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة
(3)- عبد الله درويش، المعاجم العربية، ص 73.
(4)- محمد يوسف حبلص، مرجع سابق، ص 88.
(5)- نفسه، ص 58.
(6)- ابن حويلي الأخضر ميدني، مرجع سابق، ص 76.
(7)- يحي محمود الجندي، مرجع سابق، ص 55-56.
(8)- نفسه، ص 34 ،35 ، 36، 37.

كلمتين هما (كرب، كبر) حيث إن الكاف هي أبعد الحروف الثلاثة مخرجا "[1]. والأصح تحت كلمة هي (كرب) لأن الكاف قبل الراء والراء قبل الباء في ترتيب الخليل الصوتي.

4- جاء في كتاب البحث اللساني عند العرب [2]:

- ظ، ث، ذ والأصح: ظ، ذ، ث.

وجاء في نفس الكتاب [3]:

- الشجرية: ش، ج، ض، ي والأصح: ش، ج، ض أما الياء ففي آخر باب أي مع حروف العلة.
- اللثوية: ظ، ث، ذ والأصح: ظ، ذ، ث.
- الشفوية: ف، ب، و، م والأصح : ف، ب، م، أما الواو ففي آخر باب أي مع حروف العلة .
- الجوفية: ا، و، ي والأصح: و، ا، ي.

وجاء في نفس الكتاب[4]:

كتب، بتك، تبك، كبت، تكب، بكت والأصح : كتب، كبت، تكب، تبك، بكت، بتك.

يعكس العين نبوغ الخليل العلمي وتفوقه العقلي بشهادة الكثير من مثل ابن دريد الذي قال عن الخليل وعن عينه:" ولكنه –رحمه الله-ألّف كتابه مشكلا لثقوب فهمه وذكاء فطنته وحدة أذهان أهل دهره" [5].

ويكفي الخليل فخرا أنه قام بهذا العمل الذي جمع فيه الفكرة والمنهج والترتيب فكان أن وصل إلى غايته وهي تأليف معجم على نمط بديع لم يسبق إليه بطريقة علمية منظمة فكان بحق رائدا للحركة المعجمية التي ترتبت عليها مدارس معجمية عديدة ومتنوعة.

إذن نال معجم العين من اهتمام العلماء ما لم ينله أي معجم آخر لذا توالت المؤلفات وتنوعت فمنها ما تأثر بالخليل فسار على منواله مثل: الجمهرة لابن دريد وتهذيب اللغة للأزهري والمحكم لابن سيدة والمحيط للصاحب بن عباد والبارع لأبي علي القالي ومنهم من اختصره كالزبيدي في مختصر العين ومنهم من حاول إكمال ما فيه من نقص كالسدوسي في الاستدراك على العين ومنهم من نقضه كالزبيدي في استدراك الغلط الواقع في العين والإسكافي في غلط العين ومنهم من دافع عنه كالزبيدي في الانتصار للخليل وابن دريد في التوسط وابن نفطويه في الرد على المفضل.....

ولا يسع المقام هنا لذكر كل المؤلفات التي دارت حول العين ناهيك عن كل المعجمات التي تأثرت بفكر الرجل باعتباره أبا الدراسات المعجمية وللرجل فضل الأسبقية في هذا المجال لا من حيث شكل المعجم ولا من حيث مضمونه ولذا وبعيدا عن التخمين والعين عين اليقين: إن الخليل مدرسة قائمة بذاتها.

قائمة المصادر والمراجع

[1]- نفسه، ص 43

[2]- عبد القادر بن التواتي، مرجع سابق، ص 17.

[3]- نفسه، ص 21.

[4]- نفسه، ص 24.

[5]- ابن دريد، الجمهرة، (المقدمة 3/1).

1- إبراهيم محمد نجا، المعاجم اللغوية، ط مطبعة الموسكى، القاهرة، (د.ط) 1969.
2- الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، ت: عبد السلام هارون، المؤسسة العامة للتأليف والأنباء والنشر، (د. ط)، 1964.
3- الجوهري إسماعيل بن حماد، الصحاح، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1979.
4- حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، مكتبة مصر، ط4، 1988.
5- حكمت كشلي، تطور المعجم العربي، دار المنهل اللبناني، بيروت، ط1، 2002.
6- ابن حويلي الأخضر ميدني، المعجم اللغوي العربي، دار هومة، الجزائر، ط 2003.
7- ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط9، 2006.
8- ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
9- ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط1، 1958.
10- السيوطي جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن، المزهر في علوم اللغة، ت: محمد جاد المولى وآخرين، دار إحياء الكتب العربية، ط البابي الحلبي، مصر، ط3، (د.ت) .
11- شوقي ضيف، المدارس النحوية، القاهرة، 1968.
12- عبد الحميد أبو سكين، المعاجم العربية مدارسها ومناهجها، 1981.
13- عبد القادر بن التواتي، البحث اللساني عند العرب، مطبعة بن سالم، الأغواط، ط1، 2010.
14- عبد القادر عبد الجليل، المدارس المعجمية، دار صفاء، عمان، الأردن، ط1، 1999.
15- عبد الله درويش، المعاجم العربية، مطبعة الرسالة، القاهرة، (د.ط)، 1956.
16- علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، دار نهضة مصر، ط8، (د.ت) .
17- عيسى بن إبراهيم الربعي، الأمالي العمانية، تح: هادي حسن حمودي طبع وزارة التراث القومي، سلطنة عمان، 1992.
18- الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي، القاموس المحيط، تو: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، 2010.
19- كلود جرمان وريمون لوبلون، علم الدلالة، ترجمة: نور الهدى لوسن، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، (د.ط)، 2006.
20- محمد يوسف حبلص، معاجم العربية ومصادرها، دار الهاني، القاهرة، ط3، 2009.
21- ابن منظور، لسان العرب، اعتنى به أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1996.
22- يحي محمود الجندي، المدارس المعجمية والمعاجم العربية، مطبعة الزهراء بالزقازيق، ط2، 2002.